حماية البيئة في الشريعة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

Environmental protection in light of the Holy Qur'an and the noble Prophet's Sunnit

خالد هدار- جامعة باتنة 1

ريمة مشومة جامعة باتنة 1

ملخص:

تحتل البيئة مكانة مهمة لذلك نجد أن كما كثيرا من النصوص البيئة اهتماما كبيرا وتركز على أهمية احترام جميع المخلوقات، فاحترام الطبيعة والحفاظ عليها يعد شكلا من أشكال عبادة الله سبحانه وتعالى ، وقد جعل الله تعالى الأرض صالحة للحياة في خلق بديع، ودقة متناهية لا خلل فيها، غير أن تجاهل الإنسان للتعاليم الربانية أدى إلى إفسادها وتلوثها، لذلك سنحاول من خلال هذا البحث الكشف عن أهم السبل والمناهج الكفيلة لحفظ البيئة من التلوث، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والمساهمة في تنزيل معارف القرآن الكريم والسنة النبوية على قضايا المسلمين المعاصرة، وربط الأمة به، مما يعكس شمولية الدين الإسلامي ، مستخدمين في ذلك كله المنهج الاستقرائي الاستنباطي، من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، واستعنا كذلك بأداة التحليل في عدة مواضع من البحث.

الكلمات المفتاحية: حماية البيئة، الشريعة الإسلامية، القرآن الكريم، السنة النبوية.

Abstract:

Environment is very important in our life, many religious cite environment on respecting all creatures and presreving nature witch is a way of worshipping all mighty god how created the universe in perfect manner, but men ignorant god's recommendations, and lead to damage and pollute environment. We will try to know the ways to protect this nature from any menace on the light of coran and sunnah and contrbut to claryfy this idea, that reflect the globalization of islam religion using the deduction method fro; coran and sunnah reeling on the means of analyzing deferent subject of resources.

Keywords: environmental protection, holy qur'an, prophet's sunnit.

مقدمة

تعد قضية البيئة من القضايا التي حظيت باهتمام المفكرين على اختلاف تخصصاتهم، للبحث في السبل والتدابير الوقائية، وسن قوانين وإجراءات غايتها الحفاظ على بيئة سليمة نظيفة صالحة.

إن تعقد مشكلات البيئة وتزايد الأخطار المحدقة بالإنسان من جرائها، وطبيعة مواجهتها، أضحى يلاحق الكائن البري، ويهدد راحته وسكينته، بسبب التعدي الصارخ الذي يمارسه الإنسان عليها، سواء أكان ذلك في جانب تلويثها أم في جانب الاستنزاف الجائر لمواردها، ولقد بذلت عدة محاولات وجهود لمواجهة المشكلات البيئية، والمتمثلة في سن التشريعات والسياسات البيئية، وأضحت الشغل الشاغل لوسائل الإعلام، من الاهتمام بالقضايا البيئية ومشكلاتها، وكان من أهدافها الرئيسية رفع الوعي البيئي، وأصبح مشروع البيئة السليمة رهانا تتوافق حوله الإنسانية جمعاء، وتحديا يستوجب استثمار كل الخطابات المؤسسة لنظريات البيئة، وفي مقدمتها الخطاب الديني كما هو متضمن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولما كانت رسالة الإسلام رسالة شاملة لكل ما يسعد الإنسان دنيويا وأخرويا، إضافة إلى كونها خاتمة الرسالات السماوية إلى البشرية كافة، اهتمت بالبيئة التي تحيط بالإنسان من الماء والنبات والحيوان وغيره، اهتماماً كبيراً من منطلق أنها ميراث الأجيال المتلاحقة، حيث أودع الله فيها كل مقومات الحياة للإنسان المستخلف فيها، كما أرسى الإسلام الأسس، والقواعد والمبادئ، التي تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته، لتتحقق من خلالها العلاقة السوية، والمتوازنة التي تصون البيئة.

من هنا جاءت فكرة البحث في موضوع: " حماية البيئة في الشريعة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة" والذي نسعى من خلاله إلى الإجابة على التساؤلات التالية: ما معنى البيئة؟ وما هو حكم المحافظة عليها في الإسلام؟ وما هي مكانة البيئة في الإسلام في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية؟ وكيف نظر الإسلام إلى البيئة ومواردها؟ وما هي الضوابط والإرشادات التي وضعها الإسلام للمحافظة على البيئة وحسن التعامل الرشيد معها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية؟

ويهدف البحث إلى:

- إبراز دور الإسلام ووجهه الحضاري في الحفاظ على البيئة.
- جاء هذا البحث ليوضح المنهج الذي سار عليه الإسلام عبر أحكامه وتشريعاته، في معالجة موضوع البيئة

و التأصيل الإسلامي لقضية البيئة.

- إرشاد الناس إلى القواعد والتشريعات التي زخرت بها الشريعة الإسلامية، والتي تسهم في الحفاظ على البيئة والكون والحياة.

وللإجابة على هذه التساؤلات سطرنا خطة تتضمن الآتي:

أولا: مفهوم البيئة:

1. تعريف البيئة

لغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة نجد أن الأصل الجذري للبيئة مأخوذ من الفعل " باء" يقال باء يبوء بوءاً ومباءة، و يطلق ويراد به عدة معان منها:

- الرجوع والاعتراف: يقال: باء بحقه، رجع واعترف به وأقر به، قال ابن منظور في لسان العرب:" بَوَأَ: باء إلى الشيء يَبوء بَوءًا؛ أي رجَع، وفي الحديث ((أَبُوءُ لكَ بنِعمَتِكَ، و أَبُوءَ لكَ بذَنبِي))"[1] أي ألتزم و أرجع وأقر.[2]
- الثقل: يقال: باء بذنبه أي ثقل به.[3]
- الالتزام: ومنه ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَيَّما رَجُلٌ قَال لأَخِيه يا كافِر فَقَّد باء بها أَحَدُهُما))[4].أي التزمه، وأصل البواء اللزوم.[5]
- الموضع أو المنزل والإقامة، وأصل الباءة من الموضع الذي تبوء إليه الإبل، أي ترجع، ثم جعل عبارة عن المنزل، ثم كني به عن الجماع، إما لأنه لا يكون إلا في الباءة غالباً، أو لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن، كما يتبوأ من داره، وتبوَّأتُ منزلاً؛ أي نَزلتُه، وقوله - تعالى :- ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾[6] ، جعل الإيمان محلاً لهم على المثل، وإنه لحسن البيئة؛ أي :هيئة التبوُّء، والبيئة والباءة والمباءة: المنزل، وباءت بِيئَة سوء، على مثال (بِيعة)، أي بحال سوء.[7]

وبمعنى الموضع أو المنزل جاء قوله تعالى: ﴿ وَبَوَّأَكُم فِي الأَرْضِ تَتَّخِذون مِنْ سُهولِها قُصُورًا ﴾.[8]

وبوأكم: أي أنزلكم. وفي الصحاح للجوهري: المباءة منزل القوم في كل موضع، ويقال في كل منزل ينزله القوم، وقوله تعالى: " ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظَلَمُوا لنُبَوِّئَنَّهُم فِي الدُّنْيَا حَسَنَة ﴾ "[9] أي مباءة حسنة.

فالبيئة بهذا المفهوم اللغوي هي موضع الإقامة، فتشمل كل مرافق الإقامة من منزل ومدينة ومجتمع وغيرها، وهذا المعنى هو أشهر معانيها في اللغة وأكثرها تداولا، ذلك أن المقصود بالبيئة عند أكثر المُتحدِّثين بها هو: المكان أو الحيِّز المُحيط بالإنسان[10]، وهذا هو المعنى المراد في موضوع بحثنا عن البيئة.

تعريف البيئة اصطلاحا: تعددت تعريفات الباحثين للبيئة وتنوعت، ومن هذه التعريفات نورد ما يلي:

عرفت بأنها:" المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية الذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، التي تؤثر في أفراد وجماعات الكائنات الحية، وتحدد شكلها وعلاقاتها وبقاءها".[11]

وعرفت بأنها:" الوسط المحيط بالإنسان مادي وغير مادي، بشري وغير بشري".[12]

وغير بعيد عن التعريف السابق، عدّت البيئة بأنها:" الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من عناصر حية وغير حية، يتأثر بها ويؤثر فيها".[13]

وقيل بأنها:" مجموع النظم الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان مع الكائنات الحية الأخرى، التي تستمد منها زادها ويؤدي فيها نشاطها".[14]

من خلال استعراض بعض التعريفات في البيئة، نخلص إلى أن المعنى الاصطلاحي للبيئة ينبني على المعنى اللغوي المشهور؛ إذ يراد بالبيئة المكان أو المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، وما يرتبط به من عناصر حية وغير حية، يقول عبد المجيد النجار:" وقد أخذ هذا المعنى اللغوي للبيئة ليحمل معنى اصطلاحيا، يعني منزلا للإنسان أوسع وأكثر شمولا من ذلك المعنى اللغوي، فأصبحت البيئة تعني المنزل الكبير للإنسان الذي يشمل كل ما له علاقة بممارسة نشاطه، بل كل ما له علاقة بحياته من موجودات أرضية وفضائية، سواء كانت متمثلة في أفراد و أنواع، أو في أنظمة وأوضاع، حتى ليصح القول: إنها أصبحت تعني كل المجال الذي يعيش فيه الإنسان".[15]

2. حكم المحافظة على البيئة في الإسلام

إن مقصد حماية البيئة يرجع في الأساس إلى مقاصد الشريعة في حفظ الضرورات الخمس، وما يترتب عليها من توفر بيئة نقية لصحة الإنسان وعبادته، فالحفاظ على البيئة أمر واجب من أجل حفظ النفس والعقل، والدين والنسل والمال، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والدليل على ذلك تشهد له نصوص

قرآنية كثيرة، من ذلك قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون ﴾[16]

فهذا أصل في وجوب حفظ الأنواع الحية، وحرمة إفناء أو الإخلال بالتوازن البيئي القائم عليها، و قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[17] " قال ابن كثير في تفسيره للآية، و مبينا أن المراد بالفساد لا يقتصر على الكفر أو المعاصي:" ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح، فانه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد".[18]

ومما يدل على السنة على وجوب الحفاظ على البيئة وتحريم الإضرار بها قوله صلى الله عليه وسلم: ((لَعَن الله مَن غَيَّر مَنَار الأرْضِ))[19] ووجه الدلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من يبعث بعلامات الأرض فيغير معالمها، ويعبث بحدودها ليقتطع من أرض جاره شيئا"[20].

من هنا فالشريعة الإسلامية عملت على تحقيق الأمن البيئي، والحفاظ على عناصر البيئة ومكوناتها، من خلال ما تضمنته من أحكام تشريعية، ألزمت المسلم بها.

ثانيا: أهمية البيئة في الشريعة الإسلامية:[21]

اهتم الإسلام بالبيئة اهتماما كبيرا، ينسجم مع نظرة الإسلام إلى الكون الذي هو من صنع الله وتدبيره، وربط الإيمان والعقيدة بالتأمل في هذه الكون أو البيئة، وما تضمنه من دلائل صنع الله تعالى الباهرة، فالكون كله مجال للتدبر والتفكر والتأمل يوصل إلى معرفة خالقه، والإيمان به وتوحيده، قال الله تعالى:" ﴿ وسَخَّرَ لَكُم مَا في السَّماواتِ وما في الأرْضِ جَميعًا مِنْه إنَّ في ذَلك لآياتٍ لقَومٍ يتَفكَّرونّ ﴾[22] "، بل وجعل حماية البيئة مسؤولية وأمانة يتطلبها الإيمان بالله تعالى، وتقتضيها عقيدة الاستخلاف، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتي حَسَنُها وسَيِّئُها، فوَجَدتُ في مَحاسِن أعْمالِها الأذَى يُماطُ عنِ الطَّريق، وَوَجَدْتُ في مَساوِئ أعْمالِها النخَاعَة، تَكونُ فِي المسْجِد لا تُدْفَن))[23] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمَان بِضْعٌ وسَبْعُون أو بِضْعٌ وسِتُّون شُعْبَة فَأفْضَلُهَا قَوْلُ لا إلَه إلا الله وَأدْنَاها إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيق والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَان))"[24].

فيكون بذلك الإحسان بذلك إلى البيئة سبب لدخول الجنة، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ أمَاطَ أذًى عَنْ طَرِيقِ المُسْلمِين كُتِبَت لَه حَسنَة، وَمن تقَلبت لَهُ حَسَنَةٌ دَخَل الجَنَّة"))قال ابن حجر:"

ومعنى كون الإماطة صدقة، أنه سبب في سلامة من يمر بأذى، فكأنه تصدق عليه بذلك فحصل له أجر الصدقة"[25]

لقد اعتبر الإسلام من خلال نصوص قرآنية كثيرة أن ما في هذا الكون من مخلوقات حية وغير حية سخرت وذللت لخدمة الإنسان، ورعايته وبقائه، فالإنسان خليفة الله في الكون، وهو مكلف باستثماره والانتفاع به، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلائِكَة إنّي جَاعلٌ فِي الأَرْضِ خَليفَة ﴾[26]، وقال الله تعالى:" "﴿ أَلَمْ تَرَوا أنَّ الله سَخَّرَ لَكُم مَا في السَّمَاواتِ ومَا في الأَرْضِ وأسْبَغَ عَليْكُم نِعَمَهُ ظَاهِرةً وباطِنَة ﴾[27] وقال تعالى: ﴿ وهُوَ الذِي أنْزَل مِنَ السَّمَاء مَاء لَكُم مِنهُ شَرابٌ ومِنْهُ شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ ﴾[28]، وقال أيضا: ﴿ وأنْزَل مِنَ السَّمَاء مَاء مُبارَكاً فَأنْبتْنا به جَنَّاتٍ وحَبَّ الحَصِيد ﴾[29]، فالماء هو أحد مكونات البيئة الأكثر انتشارا على الكرة الأرضية، وهو عنصر حيوي لا غنى عنه لأي كائن حي.

و نبه الله تعالى من خلال القرآن الكريم على أهمية الثرة الحيوانية، وأنها نعمة من نعم الله في هذا الكون، قال الله تعالى:" ﴿ زُيّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّسَاء والبَنينَ والقَناطِير المُقَنْطَرَة مِنَ الذَّهَب والفِضَّة والخَيْلَ المُسَوَّمَة والأنْعَام والحَرْثِ ذَلك مَتاَعُ الحَيَاة الُّدنْيا والله عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ ﴾[30] وقال تعالى:" ﴿ والخَيْلَ والبِغَال والحَمير لتَرْكُبوهَا وزِينَة ويَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُون ﴾[31] وقال أيضا:" ﴿ وَذلَّلْناها لهُم فَمِنْهَا رُكوبُهُم ومِنْهَا يَأْكلُون ﴾[32] وعن أهمية النحل قال تعالى: ﴿ وَأوْحَى رَبُّك إلى النَّحْلِ أن اتَّخِذي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا ومِنَ الشَّجَرِ وممَّا يعْرِشُون ثُمَّ كُلي من كُلّ الثَمَرات فاسْلُكِي سُبُلَ رَبك ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطونِها شَرابٌ مُّختَلفٌ أَلْوانُه فِيه شِفاءٌ للنَّاسِ إنَّ في ذَلك لآيَةٌ لِقَوْمٍ يتَفكَّرُون ﴾[33]

و سخر الله النباتات من أشجار وأزهار وفواكه وخضار... لإشباع رغبات الإنسان، والحفاظ على حياته وصحته، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الذِي أنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأخْرَجْنَا بِه نَبَات كُلَّ شَيء فأخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتراكِبًا ومِنَ النَّخْل مِن طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وجَنَّاتٌ مِن أعْنابٍ والزَّيتونَ والرُّمَّانَ مُشتبِهًا وغيْرَ مُتشَابِه انظُروا إلَى ثَمرِه إذا أثْمَرَ وَينْعِه إنَّ فِي ذلكُم لآياتٍ لقَوْمٍ يؤمنُون ﴾[34]

والبحار والأنهار وما فيها من نعم حية من أسماك وحيتان، وغير حية من لؤلؤ ومرجان، وغير ذلك فيها متاع للناس وفوائد جمة، قال الله تعالى: ﴿ وهُو الذِي سَخَّرَ البَحْرَ لتأكُلُوا مِنْهُ لحْمًا طَرِيًّا وتَسْتخْرجُوا مِنْه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ وقال أيضا: ﴿ الله الذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ والأرْض وأنْزَل مِنَ السَّمَاء مَاء فَأخْرَجَ بِه منَ الثَّمرات رزقًا لكُم وسَخَّر لكُم الفُلكَ لتَجرِي

في البَحْرَ بأمْرِه وسَخَّرَ لكم الأنْهَار ﴾[35]، فنجوم السماء والأرض كلها مسخرة لخدمة الإنسان، ويدل هذا التسخير على عناية الإسلام بالبيئة، والاهتمام بعمارتها واستصلاحها واستثمار مواردها، والمحافظة عليها.

فالله تعالى خلق كل شيء في الكون بالحق وبقدر واتزان معجز، قال الله تعالى: ﴿ ما تَرَى في خَلْقِ الرَّحمَان مِن تَفاوُتٍ فارجِع البَصَر هلْ ترَى من فُطور ﴾[36] وقال تعالى: ﴿ إنَّا كُل شَيء خَلقْناه بقَدرٍ ﴾[37] وهذا الخلق الموزون يؤدي إلى التوازن الناتج عن التفاعل والتكامل والتنوع قال الله تعالى: ﴿ الشَّمْسَ و القَمَر بِحُسْبان والنَّجْم والشَّجَر يُسْجُدان والسَّمَاء رَفَعَها ووضَعَ الميزانَ ألاَّ تَطغُوا في الميزَان وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْط ولا تُخْسِروا الميزَان والأرْضَ وضَعَها للأنَامِ فيهَا فاكِهَةٌ والنَّخْل ذَات الأكمَام والحبُّ ذو العصْفِ والريحَان ﴾[38]

ثالثا: مظاهر رعاية الإسلام للبيئة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية:[39]

إن الإسلام هو آخر الرسالات السماوية المنزلة جاء ليعالج حياة الإنسان على الأرض معالجة دقيقة من خلال النظم والتشريعات المتكاملة التي تعمل على سعادة الإنسان وخيره عبر تنظيم العلاقات المتعددة بين الإنسان وغيره وسن التشريعات اللازمة لضبط العلاقات والمحافظة على النسيج المتناسق الذي جعله الله بين الكائنات الحية الموجودة على الأرض. وركائز الحفاظ على البيئة في الإسلام ما يلي:

الأمر بالطهارة: اهتم الإسلام بنظافة الأبدان والثياب و اعتبرت الطهارة شرطاً من شروط بعض العبادات ، وخاصة الصلاة، ووضعت السنة آداباً كثيرة في النظافة والاغتسال والتطيب والتجمل خاصّة في المناسبات العامة، مثل صلاة الجمعة و العيدين، قال الله تعالى:" ﴿ يا بَني آدَم خُذُوا زِينتَكُم عِندَ كلِّ مَسْجِد ﴾[40]، وقال تعالى: ﴿ وثِيابَك فَطَهِّر ﴾[41]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((الطَّهُور شَطْرُ الإيمَان))[42] وفي الحديث : ((مِفتَاحُ الجَنَّة الصَّلاة، ومِفْتاح الصَّلاة الَّطهُور))"[43]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"وحث الإسلام على إماطة الأذى أياً كان حجمه أو ضرره، ولو صغيراً عن الطرق والسبل، ونهى عن تلويثها لأنها حق للجميع، وفي تلويثها إيذاء لهم، قال ρ ((الإيمَانُ بِضْعٌ وسَبعُون شُعْبَة أعْلاهَا لا إَله إلاّ الله، وأَدْنَاه إِمَاطَةُ الأذَى عَن الطَّريق صَدقَة))[44]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا المَلاعِن الثَّلاث: البرَاز في المَوارِد، وقَارِعَة الطَّريق، والظِّل))[45]

وعد الإسلام التلوث نجاسة، وجعل الطهارة سببا لمحبة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الله يُحِبُّ التَّوابينَ ويُحبُّ المتَطهرِين ﴾[46]، وفي الحث على النظافة العامة، من الروائح الكريهة التي تؤذي الآخرين، حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((كَان النَّاس يَنتَابون الجُمعَة من منَازلِهم من العَوالي، فيأْتُون في العَباء

ويُصيبُهم الغبَار فتَخرج منهُم الرّيح فَأتَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إنْسَانٌ مِنْهُم وهُو عِنْدي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أنَّكُم تَطهَّرْتُم ليَوْمِكُم هَذا، وفي رواية: لَوْ اغتَسلتُم يوْمَ الجُمعة))"[47]

ودعا الإسلام إلى تنظيف الأواني وتغطيتها اتقاء للإمراض والجراثيم المسببة لها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كَانَ جنَحَ الليلِ أو أمْسَيتُم فَكفُّوا صِبيانَكُم فإنَّ الشَّياطِين تنتَشِرُ حِينئذٍ فإذا ذَهبَ ساعَةٌ من الليل فحَلوهُم، فأغْلقُوا الأبْوَاب واذكُرُوا اسمَ الله فإنَّ الشَيطَان لا يَفتَح بابًا مُغلقًا، وأوكوا قربَكُم واذكُرُوا اسم الله وخَمّرِوا آنيَتكُم واذكُروا اسْم الله ولَو أن تعرضُوا عليها شَيئًا وأطْفِئوا مصَابيحَكُم))[48].

كما جاء الأمر بالنظافة في جميع أشكالها خوفا من التلوث، من خلال الدعوة إلى نظافة الأماكن العامة، والحث على تجميل البيئة ونظافة ما بها من طرق وساحات عامة فعن عائشة رضي الله عنها: ((أمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنَاء المسَاجِد في الدور، وأن تُنظَّف وتُطيَّب))"[49]

المحافظة على الماء وعدم تلويثه: اعتبر الإسلام الماء من الثروات الإنسانية المشتركة قال تعالى: ﴿ ونَبئْهُم أنَّ المَاء قسْمَةٌ بينَهُم كلُّ شِربٍ مُحْتَضر﴾[50] وقال صلى الله عليه وسلم: ((الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار))"، ونهى أن يباع الماء، وحرم الإسراف فيه ولو كان للعبادة ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أحد أصحابه يتوضأ فقال له: ((مَا هذا السَّرف؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال صلى الله عليه وسلم: نَعم، وإن كُنتَ على نَهرٍ جار"))[51]، ولحفظ المياه من التلوث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاغتسال في الماء الراكد فقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يغْتسِل أحَدكُم في المَاء الدَّائِم وهو جُنب")) ونهى عن تلويث الماء بالتبول فقال: ((لا يبولَنَّ أحَدكُم في المَاء الدَّائِم الذي لا يَجْري ثم يغْتسِلُ فِيه))"[52]

المحافظة على النبات وتشجيع التشجير والتخضير: أولت الشريعة الإسلامية للثروة النباتية أهمية كبيرة فشجع على التشجير وتخضير الأرض بالزرع والغرس، وحرم قطع الأشجار دون سبب وجاءت نصوص كثيرة تبين فضلها واجر العامل عليها والقائم بها قال الله تعالى:" ﴿ وهُوَ الذي أنْشَأَ جَناتٍ مَعْروشَاتٍ وغيْرَ مَعروشَات والنَّخْلَ والزَّرْع مُختلفًا أكلُه والزَّيتُون والرُّمَّانَ مُتشَابهًا وغيْرَ مُتشَابِه كُلُوا من ثَمَرِه إذا أثْمَرَ وآتوا حَقَّه يَوْمَ حَصَادِه ولا تُسْرفُوا إنَّهُ لا يُحبُّ المُسرِفينَ ﴾[53] ، ومن السنة النبوية ما رواه ابن عمرτ أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : ((ما شَجرَة لا يسْقُط ورقُها وهى مثل المؤمن أو قال المسلم)) ، قال: فوقع الناس في شجر البوادي ، قال ابن عمر: ووقع في نفسي أنّها النخلة، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((هي النَّخلَة قال فذكرت ذلك لعمر فقال لأن تكون قلتها كان أحب إلى من كذا وكذا) [54].

ومن أعظم الأدلة على هذه الرعاية الإسلامية للغطاء الأخضر من السنة النبوية ما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم. ((مَا من مُسلِم يغْرِسُ غَرْسًا أو يَزرَعُ زَرْعًا فيأكُلُ مِنْهُ طَيرًا أو إنْسَان أو بهِيمَة إلا كَان لَه به صَدَقة))[55]، فالإخضرار يبعث على النفس الطمأنينة والراحة، ويزيد من جمال البيئة، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَاۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾

وبلغ اهتمام الإسلام بالمحافظة على البيئة المكانية أن أوصى وحث على الغرس والتشجير حتى قبيل قيام الساعة لأنه عبادة يؤجر عليها الإنسان قال صلى الله عليه وسلم: ((إِنْ قامَتِ السَّاعَة وفي يَدِ أحَدِكُم فسيلَةً، فإن اسْتطَاع ألاَّ تقُوم حتىَّ يغْرِسها فليَغرسْها)) [56]

وتشجيعا على إحياء الأرض، قرر الشرع ملكية الأرض لمن أحياها قال صلى الله عليه وسلم: ((من أَحْيَا أرضًا ميتة فهِي له، وما أكَلَتِ العَافِية منها فَهيَ له صَدقَة"، وفي رواية « مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فهي لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ)).[57]

ويكون الإحياء كذلك: بالبناء عليها، وإقامة مساكن فيها للناس، وبإقامة المصانع في الأرض، فالمصنع كالمزارع مطلوبة في حياة الناس[58]، قال الله تعالى:" ﴿ وأنْزَلنَا الحَدِيدَ فيه بأْسٌ شَديدٌ ومَنَافِعُ للنَّاس ﴾[59]

المحافظة على الحيوان وعدم التعدي عليه: إذ تمثل موردا هاما من موارد البيئة نظم الشرع علاقة الإنسان مع الكائنات الحية وجعلها مبنية على الرحمة والرفق والشفقة، ونبه من إلحاق الضرر بها، ومنع قتله لغير الحاجة ولا منفعة معتبرة قال صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِن مُسلِم يقْتُلُ عُصْفورًا فما فَوقَها، بغيْرِ حقَّها، إلا يسْأله الله عز وجل عنها" قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال:" أن يذْبَحَها فيَأكُلُهَا، ولا يقْطَع رأْسَه، ويرْمي بها"))[60]

بل وجعل الإحسان إلى الحيوان سببا لدخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بيْنا رجُلٌ يمْشي فاشْتَد عليه العطَش فنَزَلَ بئْرًا فشربَ منها، فخَرج منْها فإذا هُو بكلب يلهث يأكل الثرى من شدة العطش قال: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له))"[61]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل للقطة الإناء حتى تشرب ثمّ يتوضّأ بفضلها وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة يقول : قال النبي صلى الله عليه و سلم ((تأتِي الإبِلُ على صَاحِبِها على خيْرِ ما كانَتْ

إذا هو لم يُعطِ فيها حقَّها تطؤه بأخفافِها وتَأْتي الغنَمُ على صَاحِبِها على خَيْرِ ما كَانَت إذا لم تعطِ فيها حقَّها تطؤه بأضلافها وتنطَحُه بقُرونِهَا وقال ومن حقِّهَا أن تَحلبَ على المَاء)) [62].

وإيذاء الحيوانات يوجب عقاب الله تعالى، ففي الحديث الصحيح: ((دَخلَتِ المَرأة النَّار في هِرَّة ربَطَتهَا فلَم تُطْعمْها ولم تدعْها تَأكُل من خَشَاش الأرْضِ")) [63]

وحتى يحفظ الإسلام البيئة من التلوث أمر بالتخلص من كل ما يسبب التلوث، فأمر بقتل الفأرة والكلب العقرب والحشرات السامة، ففي الحديث: ((خمْسٌ من الدَّوابِّ لا حَرجَ في قَتلِهِنَّ: الغراب، الحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور))" [64]

من هنا نجد أن الإسلام اهتم بالثروة الحيوانية باعتبارها أحد العناصر المكونة للبيئة، ولما تحققه من منافع للإنسان.

الخاتمة:

نصل في نهاية هذه الورقات البحثية إلى مجموعة من النتائج نجملها في الآتي:

- سبق الإسلام القوانين الوضعية في تشريع التوجيهات والقوانين الربانية، التي تعمل على حماية البيئة والمحافظة عليها.
- تقوم تعاليم الدين الإسلامي في حماية البيئة على أسس راسخة، من الأوامر والنواهي والعقوبات، التي تمنع الإضرار بالبيئة.
- حماية البيئة جزء من عقيدة المسلم، ولذا جاء ذكرها في كثير من المواضع في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- علاج البيئة مرتبط بعلاج الإنسان نفسه، فهو الذي يعمل على إفسادها وعدم إصلاحها.
- سخر الله كل مكوّنات البيئة لصالح الإنسان بما يتلاءم ومقام تكريمه.
- يعد الحفاظ على مقدرات الأرض حاجة بشرية وضرورة دينية، لا يجوز المساس بها تحت أي ذريعة.
- حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بالضوابط والإرشادات الوقائية، للمحافظة على سلامة البيئة، وصيانة مواردها المختلفة، المائية البشرية الحيوانية، والنباتية من التلوث.

- حذر الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، من تلويث البيئة والإضرار بها، لأن من شأن ذلك أن يعطل الحياة على الأرض برمتها.

- **التوصيات:**

- ضرورة ربط موضوع المحافظة على البيئة بالتربية الإيمانية، فهو أنجع السبل في المحافظة على البيئة.
- تزويد الخطباء والأئمة والدعاة بآخر الأبحاث العلمية المتعلقة بالمنتجات المضرة بالبيئة ؛ لنحصن المجتمع
- من كل أذى وافد إلينا، باسم التكنولوجيا العلمية أو غيرها.
- .تخصيص برامج محددة على وسائل الإعلام تعنى بحماية الإنسان من فعله المضر بالبيئة ، من خلال تسليط الضوء على المنظور الإسلامي للكون من حولنا، والقوانين التي تحكم الحياة فيه.
- إنتاج برامج توعوية، تعنى بالحفاظ على البيئة، وتربي الناشئة بهذه القيم.
- تفعيل دور المؤسسات بمختلف أنواعها، في الحفاظ على البيئة.

الدعوة إلى جعل موضوع البيئة موضوعا يوميا في مخيلة الإنسان، وجعل الحفاظ عليها من أولوياته، وأن يكون فاعلا لا يظل يستنزف مواردها، وذلك من خلال الحديث عنها في المساجد، أو في وسائل الإعلام خاصة وسائل التواصل الاجتماعي لما لها من تأثير وللإقبال المتزايد عليها.

وصلى الله وسلم على سيد الأنام محمد رسول الله

الهوامش

[1] الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار،ج4ص153 رقم6306

[2] ابن منظور، الإفريقي، لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية 1424هـ - 2003م، باب الألف، فصل الباء فالواو، مادة (ب و أ) (1: 42) فما بعدها.

[3] أبي البقاء الكفوي: الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص 250

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم 6104.

[5] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير. مرجع سابق. ج 1، ص159.

[6] سورة الحشر آية9

[7] ابن منظور : لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية 1424هـ - 2003م، باب الألف، فصل الباء فالواو، مادة (ب و أ) (1: 42) فما بعدها.

[8] سورة الأعراف الآية74

[9] سورة النحل الآية41

[10] عمر القحطاني: أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، ط1 دار ابن الجوزي 1429هـ - 2008م، المبحث الأول، ص (24 - 21)

[11] غرايبية: المدخل إلى العلوم البيئية، دار الشرق للنشر، الأردن، ط2، 1999م، ص13

[12] الزوكة: محمد خميس: البيئة ومحاورها تدهورها وآثارها على صحة الإنسان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،(1430هـ.1993م)ص19

[13] محمد عبد القادر الفقي: البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث،رؤية إسلامية، مكتبة ابن سينا، القاهرة(1414هـ.1993م)، ص8

[14] نفسه

[15] عبد المجيد عمر النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، قطر،ط1430،1هـ ،1999م، ص18،19

[16] سورة الأنعام الآية38

[17] سورة الأعراف الآية56

[18] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد ومحمد رشاد وآخرين، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط1، 1421هج6، ص324

[19] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله، حديث رقم1978

[20] ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، ط1389،1هـ، ج10، ص767

[21] أكثر تفصيلا ينظر: القرضاوي: رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط1421،1هـ.2001م، ص 13. 16، خير الدين سيب: منهج حماية البيئة والمحافظة عليها في السنة النبوية، دار الجامعة الإسلامية، ماليزيا، ط1، 1436هـ.20015م ، ص171،170، و ناصر بن محمد بن صالح الصائغ: منظور القرآن الكريم في الحفاظ على البيئة، دار الجامعة الإسلامية، ماليزيا، ط1، 1436هـ.20015م ،ص112.115 ، و خليل الميس: البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة19، الإمارات العربية المتحدة، ص1211

[22] سورة الجاثية الآية13

[23] رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن النهي عن البصاق في المسجد، حديث رقم553

[24] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان، حديث رقم8

[25] ابن حجر: فتح الباري، ج5،ص114

[26] سورة البقرة الآية30

[27] سورة لقمان الآية20

[28] سورة النحل الآية 10

[29] سورة ق الآية9

[30] سورة آل عمران الآية 14

[31] سورة النحل الآية8

[32] سورة يسن الآية 72

[33] سورة النحل الآية 68. 69

[34] سورة الأنعام الآية 99

[35] سورة إبراهيم الآية 32

[36] سورة الملك الآية3

[37] سورة القمر الآية49

[38] سورة الرحمان الآية125

[39] لمزيد من التفصيل ينظر: محمد عيد محمود الصاحب، النهج الاسلامي في حماية البيئة، الأردن(دط، دت)ص480 . 493، و علي محمد يوسف المحمدي: حماية البيئة في الشريعة الإسلامية، مجلة منركز الوثائق والدراسات القرآنية، العدد2000،12م قطر، ص200 وما بعدها

[40] سورة الأعراف الآية31

[41] سورة المدثر الآية4

[42] أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم223

[43] أخرجه الترميذي في سننه، باب الطهارة، باب ما جاء ان مفتاح الصلاة الطهور، حديث رقم4

[44] أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، حديث رقم 861

[45] رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، حديث رقم 328

[46] سورة البقرة الآية222

[47] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب من أين تؤتى الجمعة ومن على من تجب، حديث رقم875

[48] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره،حديث رقم1345

[49] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب اتخاذ المساجد في الدور، حديث رقم 455

[50] سورة القمر الآية28

[51] رواه أحمد في مسنده، حديث رقم7065

[52] أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم حديث رقم236

[53] الأنعام 141

[54] أخرجه البخاري، كتاب العم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، حديث رقم62

[55] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع اذا أكل منه، حديث رقم2223

[56] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم12705

[57] رواه الامام مالك في موطأه، حديث رقم 1456

[58] القرضاوي: رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية. مرجع سابق. ص71

[59] سورة الحديد الآية25

[60] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم6550

[61] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء، حديث رقم 2234

[62] أخرجه البخاري، كتاب الوكاة، باب إثم مانع الوكاة، حديث رقم1337

[63] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، حديث رقم3140

[64] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب، حديث رقم1732